الإسماعيليون يُهَجَّرون من عدن !

ظلت مدينة عدن لقرون عدة من الزمان واحة للتعايش والتآخي الإنساني بين كل الطوائف والمذاهب والملل والنحل والديانات والأعراق، مُنذ تعاقب وتوالي الدول اليمنية التي بسطت نفوذها على أجزاء واسعة من اليمن بما فيها مدينة عدن.

أتذكر منذ فترة دراستنا في هذه المدينة الوادعة عدن وبالذات في حي كريتر وشارع البهرة وشارع الشيخ عبدالله وحافة القطيع وبقية شوارعها العتيقة وأحيائها التراثية الدافئة، وموقع كليتنا العتيدة بشارع الملكة أروى بنت أحمد (جهة العقبة) ومشهد التنوع الإنساني في هذا الحي الجميل هو المشهد الطاغي الذي انطبع في ذاكرتنا حتى لحظة كتابة هذه السطور، ولم أجهد نفسي في أية لحظة بالبحث عن إجابات للأسئلة الذي تفضي إجاباتها أحياناً الى متاهات التعصب والفرقة وعمى البصيرة أحيانا، أسئلة ترمي سهام الشك الى (الآخر) الى ذلك المختلف عنا في اللون والشكل والملبس والمذهب وحتى الديانة، لكنني كنت على يقين فطري أنه لطالما خلق الله الناس بهذا التنوع في الشكل والمعتقد .. إذاً على الجميع التسليم بمبدأ الاختلاف وقبوله.

أ.د/ عبدالعزيز صالح بن حبتور

أليست الحكمة الإلهية أقوى الأدلة والبراهين في خلق الكون وتنوع البشر الذين خلقهم الخالق لعبادته، انها حكاية سردية طويلة عمرها عمر الإنسان منذ خلق الله أبا البشرية جمعاء آدم عليه السلام والى آخر جيل من البشرية يخلفهم الله على الأرض والى ان يرثها ومن عليها، وهي جدلية الفلسفة اللانهائية الطوباوية منها او الجدلية التي ركزت على مضمون وجوهر الإنسان كمخلوق أصطفاه الله ليعمر الكرة الأرضية ويبنيها.

التنوع الإنساني في مدينة عدن ليست ظاهرة خاصة بها وحدها بل بكل المدن الساحلية التي اشتهرت بالموانئ والاتصال بالعالم الخارجي كميناء المخا والمكلا والحديدة وجدة ومسقط ودبي.. الخ.

لكن الاستثناء لعدن انها مدينة حافظت على هذا التنوع لقرون متواصلة وازدهارها اكثر من مراحل انحطاطها، واتصالها بالعالم الخارجي لم ينقطع لأسباب يقع في تميزها الذاتي.

فالمدينة مخزن لكل هذا الإرث الثقافي والديني لقرون ممتدة من حقب عدة وليس كما يزعُم بعض الكتبة انها من زمن الحماية الاستعمارية فحسب، فالمؤرخون الثقات بينوا بجلاء ان تعايش الديانات السماوية والأرضية كانت إحدى صفات مدينة عدن، وآثار وشواهد المدينة تبرز ذلك بوضوح كافٍ.

فالطائفة الإسماعيلية المسلمة الكريمة بتفريعاتها المتنوعة هم ليسوا حالة طارئة او مهاجرين جدداً وفدوا الى عدن بل ان جذورهم ممتدة كجزء أصيل من تاريخ الدين الإسلامي كله، جزء من تاريخ تطور الإسلام وتناقضاته الاجتهادية بصوابها وخطئها، وليس هنا مجال لمجادلةٍ فكرية في تاريخنا اليمني والإسلامي عموماً، بل نحن بصدد الإشارة الى واقعة وحدث ما يتعرض له جزء مهم وأصيل من سكان عدن الأصليين وهم أقلية محترمة شريفة عاشت وانصهرت في بوتقة الحياة الاجتماعية والثقافية والتجارية والإنسانية بالمدينة, وهم بالمناسبة مسجلون بالآلاف.. إننا بطبيعة الحال امام ما حدث ويحدث لجزء من أهلنا بعدن ندين بأشد العبارات الأعمال الإرهابية المتطرفة النزقة الموجهة ضد الطائفة الأقلية الإسماعيلية المسلمة ونعتبرها عملاً فوضوياً غير أخلاقي ولا إنساني ولا يستند الى مرجعية إسلامية صحيحة.. قال الله في محكم كتابه الكريم (لكم دينكم ولي دين) من سورة الكافرون.. لكننا صادفنا في التاريخ الإسلامي والإنساني ظواهر شاذة عابرة كهذا الذي يحدث في مدينة عدن الجريحة.

ويرجع جذور تاريخ وجود مذهب جماعة الاسماعيليين في عدن الى بدء تأسيس الدولة الصُليحية ما بين (1047-1138م) وعاصمتها مدينة جبلة في محافظة إب وبعدها انتقلت عاصمتها الى صنعاء وكانت السيدة أروى بنت أحمد الصليحي، إحدى أبرز ملوكها وتميز عصرها بالحكمة والاستقرار والتطور في مختلف الصعد وكانت مدينة عدن إحدى أهم مدنها المزدهرة ولها حكايات أسطورية معها، إذاً مدينة عدن وكل اليمن عاشت هذا التنوع والاختلاف في المذاهب والاجتهاد.. ومن قراءة عابرة لأحداث مرت في التاريخ الحديث لمدينة عدن نجد انها ليست حادثة جديدة وكل حوادث التهجير القسري والطوعي لها اسباب وجذور " سياسية " بحتة لكنها احداث مُدانة، ويتذكر القارئ اللبيب الاحداث الآتية :

(1) حكاية تهجير أتباع الطائفة الدينية اليهودية في نهاية عقد الأربعينيات من القرن العشرين، وتهجيرهم تحت شعار (بساط الريح) ولعلم الأجيال الجديدة كان اليهود منتشرين في اليمن كلها من صعدة وعمران وصنعاء

شمالاً الى عدن جنوباً مروراً بيافع وحبان ودوعن وغيرها من المدن اليمنية.

(2) حينما رحل آخر جندي بريطاني من عدن رحلت قبله كل الأسر المسيحية أجنبية او عربية او حتى اليمنيين كأفراد، ولم يتركوا سوى كنائس ومعابد خاوية على عروشها.

(3) في زمن التشطير أي الدولة الوطنية اليمنية الجنوبية غادرت أسر وعائلات السلاطين والمشائخ وعلماء الدين والطبقة المخملية المثقفة ورجال المال والأعمال من كل المذاهب والاسر خوفاً من ظاهرة التصفيات الجسدية التي طالت العديد مِمَّنْ بقي بعدن واليمن الجنوبي آنذاك (التاريخ المسكوت عنه حتى الآن).

(4) في الفترة من 1967- 1986م تم تهجير قسري واختياري لمئات الآلاف من المواطنين بسبب ونتاج الصراعات السياسية الدموية في إطار أجنحة التنظيم السياسي للجبهة القومية والحزب الاشتراكي اليمني كوريث للحركة الوطنية اليمنية بما فيها تهجير مواطنيه، وكانت ثالثة الأثافي- كما يقول العرب- كارثة ومأساة 13يناير 1986م.

(4) بعد الوحدة اليمنية وبالذات بعد حرب صيف 1994م هاجرت العديد من قيادات الحزب الاشتراكي اليمني وأسرهم والمئات من أسر المواطنين.

هذا النزيف الإنساني الحاد الذي أصاب اليمن كلها ومدينة عدن على وجه التحديد كان سبباً مباشراً في خسارة الأرض للإنسان وفقدان هذا التراكم الإنساني الطبيعي بما فيه زاد المعرفة والثقافة والتقاليد وحتى الأخلاقيات للأسف، مما مهد الأرضية الخصبة لظهور جيل جديد قابل للتطويع من قبل حاملي (بيارق) ورايات التطرف السياسي والديني.

إن ما تعرض ويتعرض له أهلنا من طائفة الإسماعيلية المسلمة أكانوا بُهرة أو خُوجة أمر مشين والسكوت عنه جريمة أخلاقية بشعة يتحملها جميع من هم يمثلون السلطة على الأرض والمثقفون القابعون في غُرف نومهم المظلمة والأدباء والمفكرون الصامتون وكذلك الإعلاميين الذين يرعدون ويزبدون في أمور وقضايا هي أقل أهمية من الناحية الإنسانية والأخلاقية من قضية التهجير التي تعد واحدة من جرائم العصر.

إن الدفاع عن هذه الطائفة أصبح فرض عين وواجباً أخلاقياً ومسؤولية مشتركة على كل الفرقاء السياسيين والمثقفين وحملة مشاعل (الفكر والتنوير) والاقلام الحرة وقبلها ذوو العقول والقلوب الحُرة، ولا يمكن لذي لُب ان يتوانى في الإسهام عن فكرة الدفاع عن الإنسان وجلال هيبته المستمدة من جلال خالقه الله عز وجل، علينا ألا نمرر سلسلة الجرائم او نعتاد على التعايش مع مشاهدها، لأن نار هؤلاء المفتنين المتطرفين لن تتوقف أمام حاجز بذاته ولن يتورعوا عن استباحة دماء الناس بدءاً بالتفخيخ والتفجير وفصل الرأس عن الجسد والسحل والحرق والقنص والتنكيل وآخر فصولها السوداء التهجير، وما نقوم به ليس دفاعاً عنهم فحسب بل هو دفاع عن مستقبل أجيالنا وتعايشهم المشترك في مدينة آمنة خالية من التطرف والغلو، هي مدينة عدن، مدينة كل من عاش وعمل بها وخدم أهلها وهذا حال كل مدن العالم تقريباً.

لكن دعوني أقترب من جوهر المشكلة ومحورها في هذا السياق الآتي:-

فاليمن غارق في حرب داخلية معقدة وحرب عدوانية وحشية مستمرة لعشرة أشهر وأساس ومصدر هذه الحرب هو (سياسي بحت) تفجَّر بين فرقاء العمل السياسي اليمني، لكن الاعداء الخارجيين وظفوه لمصالحهم وشنوا هذه الحرب العدوانية المستمرة حتى لحظة كتابة هذه السطور.

ما هو الملمح العام لوصف مرتكز اللحظة الحرجة الحالية ؟:-

أولاً: من خلال المطالعة الجادة لرأي الخبراء الاستراتيجيين في الشأن الحربي بأن الحرب قد وصلت الى نقطة التعادل والتوازن وما عدا ذلك فهي تفاصيل فحسب.

ثانياً: من القاعدة الأولى في القراءة المتأنية لرأي الخبراء الاستراتيجيين فإن الحرب في اليمن مرشحة للاستمرار لسنوات ولن يكون بها غالب أو مغلوب إلا إذا حدث طارئ يتساوى مع حدوث المعجزات.

ثالثاً: لاشك في ان العامل الخارجي هو المستفيد الأول والأخير من ديمومة الحرب واشتعالها لأسباب جيواستراتيجية واقتصادية.

رابعاً: تنظيما داعش والقاعدة الإرهابيان ويضاف لهما تجار الحروب بالداخل والخارج هم المستفيدون من استمرار هذه الحرب، وقد شاهدنا ذلك من خلال سيطرة كبيرة على مدينة عدن وسيطرة شبه كلية على مناطق الحوطة بتبن لحج وزنجبار وضواحيها في أبين، وخلال اليومين الماضيين اعلن تنظيم القاعدة الإرهابي عن إعادة سيطرته على مدينة عزان بشبوة مرة جديدة، وأما حضرموت فقد تم السيطرة عليها من قبل القاعدة منذ عدة أشهر..

إن اي حديث تبريري تجاه الوضع الأمني في هذه المناطق آنفة الذكر ما هو إلا ضحك على الدقون وأحاديث مجتهدين مراهقين بالسياسة ولن يقدم ولن يؤخر أي أمر سوى المزيد من إهدار الوقت والدماء والأرواح.

خامساً: على جميع القوى السياسية ان تتحرر من وهم السيطرة على اليمن بقوة السلاح الداخلي او الاستقواء بالعدو الخارجي، لأن تفكيراً من هذا النوع سيغذي نهج الحرب لدى تجار الحروب.

سادساً: إن الحل السياسي وحده بين شركاء العمل الوطني هو الحل الوحيد الذي سبق نجاعته في حل كل أزمات اليمن وحتى بالعالم.

سابعاً: تقع على كل القوى السياسية الوطنية المجابهة للعدوان وبالذات (المؤتمر الشعبي العام وأنصار الله) وبقية القوى الوطنية مسئولية التنسيق العالي على مختلف الصعد أكان بالجبهات السياسية أو الإعلامية والإدارية أو العسكرية وهذا من شأنه أن يعزز التلاحم والصمود لمواجهة صلف العدوان.

إن البحث في جوهر الموضوعات والتعمق في تفاصيلها (الشيطاني) افضل ألف مرة من الأحاديث الإعلامية الدعائية المضللة او الاستكانة الى كسل العقل وانتظار الحلول الجاهزة من أناس قريبين من السلطة مكانهم جيش الغوغاء الدهماء، والإنصات للضمير خير من الاستماع الى الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس.

إننا نكرر التضامن والتآزر مع أهلنا ومواطنينا من طائفة الاسماعيليين في عدن على أساس دستوري قانوني، والأهم منه هو تضامننا الإنساني البحت على القاعدة الحياتية العامة ان الدين لله والوطن للجميع.. ومن قرح يقرح..

رئيس جامعة عدن - محافظ عدن الأسبق

التحية للقبائل اليمنية

(الدور الذي تقوم به القبائل اليمنية في مواجهة العدوان يأتي امتداداً من الجذور التاريخية للأدوار العريضة والعظيمة التي حفظتها صفحات التاريخ للقبيلة في الذود عن حياض الوطن جنباً إلى جنب مع الدولة القائمة في مختلف الدهور والعصور..

دور القبيلة اليوم يعصف بالذهنية المقيتة التي حاولت في أكثر من تحيَّز فصل القبيلة عن الدولة وتصنيفها خطأً بأنها العامل الفاعل في عرقلة بناء دولة حقيقية تخضع للقانون..

توفيق الشرعبي

القبيلة اليوم أثبتت للمنحازين ضدها قبل غيرهم أن دورها أعظم وأقدر من الأدوار الباهتة والعاجزة التي تقوم بها المكونات السياسية في التعامل مع الظرف الراهن الذي يهدد بقاء الدولة ويفكك كيان المجتمع ويمزق الوحدة الوطنية..

وهاهي الدولة اليوم تتساقط في المحافظات التي عملت منذ أكثر من خمسين عاماً على فك الارتباط مع القبيلة وتجاوز تاريخها الاجتماعي، في حين تزداد صلابة وصموداً في المحافظات التي حافظت فيها الدولة على تعايشها مع القبيلة واحترام تقاليدها وأعرافها ومُثلها العليا التي تتجلى اليوم في أنصع صورها وهي تنتصر للمشاريع الحديثة وأولها بقاء الدولة وتقديم التضحيات النفيسة في سبيل سيادة ذلك المشروع واستقلالية قراره..

وفي حين ذابت القوى التغييرية والتحديثية وتلاشت شعاراتها الرنانة وطموحاتها في بناء دولة مدنية حديثة- والتي كانت القبيلة أهم المساند لها لتحقيق ذلك- في حين ذابت وتلاشت تلك القوى اليوم أمام المشروع العدواني بقيادة السعودية لإفناء مشروع الدولة اليمنية- حضارياً ومدنياً ووحدوياً و.. و.. الخ.. بقت القبيلة ثابتة وصامدة ومضحية بأبطالها وأعيانها وكبرائها لمواجهة هذا العدوان الغاشم الآثم..

وها هي الوقائع والفجائع التي حلت ولاتزال على وطننا وشعبنا تكشف حماقة وتحامل أدعياء التحديث والقومية والأممية ممن كانوا يصمُون القبيلة بالتبعية والارتزاق والارتهان لجارة السوء السعودية، وأنهم كانوا يُسقطون بشاعتهم وحقارتهم وتبعيتهم وعمالتهم هم على شرفاء القبائل.

كما فضحهم العدوان أنهم هم من كانوا يتآمرون على الدولة ويقفون حائلاً بينها وبين المواطن، بل هم وأحزابهم من كانوا يتآمرون على الأنظمة والحكام..

كما أن على أفكارهم العفنة وشعاراتهم المقيتة ورؤاهم الضيقة كانت المشاريع الوطنية تلقى حتفها وفي مقدمة ذلك سعيهم منذ 2006م ومن قبل ذلك لوأد الديمقراطية..

وفي ظل تكشُّف كل هذه الحقائق تزداد القبيلة استشعاراً لدورها واستدعاءً لتاريخها وتحملاً لمسؤوليتها وتقدم الدور اللائق بها والمتناسب مع مجتمعها والمتناسق مع تاريخها إلى جانب الدولة ومؤسساتها..

وهذا الدور يؤكد أن القبيلة تستند في مواقفها على موروث اخلاقي وإنساني لا يساوم على الشرف والكرامة ويأبى الضيم والذل ويحتقر الخيانة والعمالة والمهانة، ولهذا نجد زعماءها وأبناءها انخرطوا في الدولة للدفاع عن سيادتها ووحدتها وسلامة أراضيها ورفضوا المساومة والترغيب والارتزاق الذي قبل به الكثير ممن كانوا يتغنون بالوطنية والدولة والشعب والقومية والمدنية والاستقلال والوحدة .. إلخ..

القبيلة أثبتت في هذه المحنة أنها أشرف وأفضل من كثير من الأحزاب والتنظيمات والمكونات السياسية، وأثبت غالبية كبرائها وأعيانها ومشائخها أنهم أرقى وأتقى وأنقى من كثير من القيادات السياسية وأدعياء النضال والتدين والسلمية..

كما قدم أبناء القبائل في كل الجبهات وما وراء الحدود صموداً اسطورياً وملاحم بطولية نادرة لا يشوبها الادعاء، مقزّمين بذلك جنرالات طالما تباهوا بمكانتهم وأهميتهم وبطولاتهم وضرورتهم لسلامة الوطن وسيادته واستباحوا الوطن ونهبوا خيراته بحجة أهميتهم للوطن!!

وأمام كل ما يجرى في اليمن من جرائم إبادة وما يحاك للوطن من مؤامرات تمزيقية واستعمارية وما يقابل ذلك من عنفوان قبلي وتضحيات لم يعد مقبولاً التشكيك بأهمية دور القبائل اليمنية، وضرورة تقوية كياناتها وتفعيل وجودها المساند لبقاء مؤسسات الدولة قادرة على القيام بمهامها وخصوصاً ما يتعلق بالدفاع عن حياض الوطن ومكاسبه العليا كما هو حالها اليوم أمام العدوان البربري الإباحي الذي تقوده السعودية..

ولابد من الاشارة هنا إلى أن القبيلة في هذه الأحداث تعمل بحرفية عالية لاستعادة دورها ومكانتها ونفوذها الذي سعت بعض القوى والمكونات السياسية لاستلابه لصالحها خلال السنوات الماضية في إطار مؤامرة داخلية وخارجية على اليمن نعيش فصولها البشعة وسيناريوهاتها القذرة اليوم.. وبالتالي فالقبيلة تستعيد قوتها وتستحضر تاريخها السبئي الضارب في أعماق التاريخ لأكثر من ثلاثة آلاف سنة..

لقد وجدت القبيلة في هذا الواجب الذي تقوم به لحماية وطنها الذي خذلته الكثير من المكونات المقلدة والكثير من الكائنات «المعتلفة» لسنوات ثرواته وموارده- وجدت في هذا الواجب التوقيت الصح والمكان الصحيح لإزالة الانقسامات وبلورة الزعامات والعودة إلى الوجدان الجمعي بحشد البطولات.

وبكل تأكيد أن جرائم الإبادة والمجازر الوحشية التي يرتكبها العدوان الهمجي بحق اليمنيين الأبرياء وكذلك الدمار الشامل لمقومات الحياة يفرض علينا تحشيد مقومات القوة وبناء أركانها سواءً القبيلة أو الجيش أو الوعي الجمعي وعدم المراهنة على مكونات مؤدلجة أو قيادات نفعية لاستعادة حقنا المنتهك وتضميد شعورنا المجروح..

وهذا يجعلنا نعترف بإجلال تام بعظمة وأهمية ما تقوم به القبيلة اليمنية إلى جانب الجيش المسنود باللجان ومعهم كل الشرفاء من القوى الوطنية، بل ونؤكد أن الدور البطولي للقبيلة في مواجهة صلف العدوان هو تعبير عن سيادة الدولة وعامل مهم لصناعة مستقبل وطن قادر على حماية سيادته وكرامة شعبه وتجاوز أعدائه خصوصاً وقد اتضح لكل ذي لبٍ أن تغييب دور القبيلة والعمل على إضعافها كان في إطار التهيئة للإطاحة باليمن وسهولة تمزيقه..

خلاصة القول.. إن القبيلة تضطلع بدور بطولي عظيم في مواجهة العدوان وصد الغزاة والمرتزقة والتنكيل بهم في كل الجبهات إلى جانب قوات الجيش واللجان، وتقدم ملاحم بطولية تعزز من قناعتنا ورهاننا على دورها الذي يعد الأهم على أرض الميدان..

التحية والإجلال للقبائل اليمنية ولأبنائها العظماء الصامدين في وجه الأعداء والإغراء..

التحية للقبائل اليمنية مصنع الرجال وملهمة الأبطال ومفتاح النضال..

التحية للقبائل اليمنية التي لا تخلف وعداً ولا تخون عهداً ولا تخطئ مجداً ولا تدخر جهداً..

التحية للقبائل اليمنية وهي تخوض أشرس المعارك وتمرغ كبرياء وغطرسة العدوان في كل جبهة وميدان..

التحية للقبائل اليمنية التي علَّمتنا أن الرجال الشجعان هم من يجيد القنص والطعان..

التحية للقبائل اليمنية التي عرَّت أدعياء القومية.. وفضحت دعاة الوطنية وكشفت زيف الجنرالات الورقية..

التحية للرجال الرجال من زعماء وأبناء القبائل الأبطال المعفرين بالرمال والصامدين في الثغور وعلى قمم الجبال..